وقرأت لشقيقتها « انيسة » مقالة (فصل الخطاب في الرجل والمراة) و(محادثة بين اهل العصر والحارس المضطهد » واطلعت في المقالتين على افكار بديعة جديدة ومذاهب للفكر لطيفة وعبارة ذات حلاوة ورقة فترحمت عليهما آسفة على غصن شبابهما الذي انقصف ابان اخضراره وتذكرت عندئذٍ قول العلامة الشيخ ناصيف اليازجي في ولد زكيٍّ نجيب مات صغيراً

ما زال ينحتُ ذهنه من جسمهِ حتى براه فكان شرَّ عداتهِ

فاندفعت للتنويه بفضلهما في مجلة (الحسناء) التي لو كانتا بعد في قيد الحياة لرفلت بحلل من بدائعهما وتزين جيدها بقلائد من كلامهما .. وارى ان صاحب « الحسناء » يحن الى مثل هذه الذكرى ويعلم ما ورائها من تنشيط القارئات الاديبات واقبالهن على الكتابة في المواضيع النافعة اللذيذة التي هي بعض غاية مقصوده من انشاء هذه المجلة وفقه الله الى ما به التقدم والفلاح

الحسناء - وردت الينا هذه المقالة بلا توقيع مع رسالة من كاتبة اديبة عرفناها لاتكتب بهذا الاسلوب فلم نزيلها باسمها بل اكتفينا بما قيل عمن قالت لاننا نعلم جيداً ما كانتا عليه الشقيقتان من الذكاء والادب مما دعانا الى نشر رسمهما ايضاً واننا سننشر في اجزاء الحسناء الآتية في غير باب الشهيرات العظيمات رسوم وتراجم فقيداتنا اللواتي كنا نرجو منهن للامة نفعاً عميماً

امُّ اليتيم

رمت مسمعي ليلاً بانة مؤلمٍ فالقت فؤادي بين انياب ضيغمِ
وباتت توالي في الظلام انينها وبتُّ لها مرمى بنهشة ارقمِ
فيهفو بقلبي صوتها مثلما هفت بقلب فقير القوم رنةُ درهمِ

اذا بعثت لي أنةً عن توجعٍ ... بعثت اليها أنةً عن ترحمِ
تقطع في الليل الانينَ كأنها ... تقطع احشائي بسيفٍ مثلمِ
يهز نياطَ القلب بالحزن صوتها ... اذا اهتزَّ في جوف الظلام المخيمِ
ترددهُ والصمت في الليل سائدٌ ... بلحنٍ ضئيلٍ في الدجنةِ مبهمِ
كأن نجوم الليل عند ارتجافها ... تصيخ الى ذاك الانين المجمجم
فما خفقان القلب الاَّ لاجلها ... وما الشهب الاَّ ادمع النجم ترتمي
لقد تركتني موجع القلب ساهراً ... اخا مدمعٍ جارٍ ورأسٍ مهوَّمِ
ارى لحمة الظلماء عند انينها ... فاعجب منها كيف لم تتضرم
فاصبحت ظمآن الجفون الى الكرى ... وان كنتُ ريان الحشا من تألمي
واصبح قلبي وهو كالشعر لم تدع ... له شعراء القوم من مترددم

* * *

وبيتٍ بكت فيه الحياة تعاسةً ... ولاحت بوجه العابس المتجهم
به القت الايامُ انثقال بؤسها ... فهاجت به الاحزانُ فاغرة الفم
كأني ارى البنيانَ فيه مهدماً ... وما هو بالخاوي ولا المتهدم
ولكنَّ زلزالَ الخطوب هوى به ... الى قعر مهواة الشقاء المجسم
دخلت به عند الصباح عَلَى التى ... سقاني بكاها في الدجى كأس علقم
فالفيت وجهاً خدد الدمع خده ... ومحمرَّ جفنٍ بالبكا متورم
وجسماً نحيفاً انهكته همومه ... فكادت تراه العينُ بعض توهم
لقد جئت فوق التراب وحولها ... صغيرٌ لها يزنو بعيني ميتم
تراه وما ان جاوز الخمس عمرهُ ... يدير لحاظ اليائس المتفهم
بكى حولها جوعاً فغذته بالبكا ... وليس البكا الا تعلة معدم

واكبر مايدعو القلوب الى الاسى بكاء يتيم جائع حول ايم

* * *

وقفت وقد شاهدت ذلك منهما لمريم ابكي رحمةً وابن مريم
وقفت لديها والاسى في عيونها يكلمني عنها ولم تتكلم
وسائلتها عنها وعنه فاجهشت بكاء وقالت ايها الدمع ترجم
ولما تناهت في البكاء تضاحكت من اليأس ضحك الهازيء المتهكم
ولكن دموع العين اثناء ضحكها هواطل مهما يسجم الضحك تسجم
فقد جمعت ثغراً من الضحك مفعماً الى محجرٍ باكٍ من الدمع مفعم
فتذري دموعاً كاللجان تناثرت وتضحك عن مثل الجمان المنظم
فلم أرَ عيناً قبلها سال دمعها بكاء وفيها نظرةٌ المتبسم
فقلت وفي قلبي من الوجد رعشةٌ أمجنونةٌ يارب فارحم وسلم

* * *

ومذ عرضت للابن منها التفاتة اشارت اليه بالمدامع ان قم
فقام اليها خائرَ الجسم فاثنت عليه فضمته بكف ومعصم
وظلت له ترنو بعين تجوده بفذٍ من الدمع الغزير وتوأم
فقال لها لما رآني واقفاً اردد فيه نظرة المتوسم
سلي ذا الفتى يا ام اين مضى ابي وهل هو ياتينا مساءً بمطعم
فقالت له والعين يجري غروبها وانفاسها يقذفن شعلة مضرم
ابوك ترامت فيه سفرة راحلٍ الى الموت لايرجى له يوم مقدم
مشى ارمنياً في المعاهد فارتمت به في مهاوي الموت ضربة مسلم
عَلَى حين ثارت للنوائب ثورةٌ أتت عن حرازات الى الدين تنتمي